جامعة عبد الرحمن ميرة – بجاية.

كلية اللغات والآداب.

قسم اللغة العربية وآدابها.

مقياس فقه اللغة العربية السنة الأولى ل.م.د المجموعة 01

المحاضرة الثالثة

اللغات السّامية وخصائصها

تمهيد:

عمد المستشرقون في تقسيم اللغات إلى عدّة مجموعات تحتوي كلّ منها على طائفة من اللغات تتميّز بما فيها من تقارب في اللفظ والتركيب والقواعد، وارتكزوا في تقسيماتهم على تقسيم الأجناس البشرية.

وبالانتماء إلى أولاد نوح: سام وحام ويافث وُجِدَ من اللغات مجموعة سامية، وأخرى حامية وثالثة يافثية وتعني الآرية.

تجدر الإشارة إلى إنّ أوّل من أطلق على لغات الجنس السّامي اسم (اللغات السّامية) هو المستشرق الألماني " شلوتزر (SCHLOZER)، وذلك لأنّ معظم الشعوب والأمم التي تتكلّم هذه اللغات هي من أولاد سام بن نوح، وقد انتهى بأبحاثه وتحقيقاته إلى هذا الرأي سنة 1781م.

تجدر الإشارة إلى أنّ أفضل النظريات في تقسيم للغات، هي التي تعتمد صلات القرابة اللغوية، بناء على التماثل والتشابه فيما بينها، وفيما يتعلّق بالكلمات، وقواعد البنية أو التراكيب، وعلى هذا الأساس نفسه لاحظ علماء اللغة ثلاث مجموعات:

- الأولى هي: الهندية الأروبية.
- والثانية هي: الحامية السّامية.
- والثالثة هي: الطورانية.

ولقد تنبّه الباحثون إلى صلات القرابة بين اللغات الدّاخلة تحت كل مجموعة من هذه المجموعات بما وُجِدَ من الصفات المشتركة في كلّ منهما.

ونرى أنه من المستحسن الإشارة ولو باختصار إلى هذه الأس اللغوية قبل الحديث عن شجرة اللغات السّامية.

أولا: الفصيلة الهندية الأروبية:

وتعدّ لغاتها أكثر اللغات الانسانية انتشارًا بما أحرزته شعوبها من تفوّق حضاري، وقد يصعب تحديد الموطن الجغرافي لهذه الفصيلة بعد تعدّد الأقوال فيه وذكر من مواطنها: آسيا الوسطى، وروسيا الشرقية، حوض البلطيق،...الخ

وتشمل هذه الفصيلة على ثماني طوائف، وفي كلّ طائفة عدد من اللغات،وسنقتصر هنا على ذكر الطوائف وحدها، وهي: الآرية، اليونانية، الإيطالية،الجرمانية، السلافية، الأرمنية،الألبانية،الكلتيّة، ويلاحظ في الطائفة الأخيرة أنّها الطائفة المورثة للغات الانجليزية والفرنسية والاسبانية المعاصرات.

ثانيا: الفصيلة الحاميّة الساميّة:

وموطنها الجغرافي أقرب إلى التحديد، فليست مناطقها شديدة الاتساع، فهي لا تعدو شبه جزيرة العرب، وبرّ الشام والعراق مع شمالي إفريقيا، وجزء من شرقي إفريقيا، وفيها مجموعتان:

1- مجموعة اللغات الحاميّة:

وفيها اللغات المصرية القديمة، واللغة القبطية، واللغة البربرية، عدا لغات أخرى.

2- مجموعة اللغات الساميّة:

وفيها الكنعانية، الآرامية، والعبرية القديمة، والعربية الشمالية الباقية المنحدرة من العربية الجنوبية.

3- الفصيلة الطورانية: وتضم ما تبقى من ألسن آسيا وأروبا مما لا يدخل في الأسرة الهندية الأروبية، أو في الأسرة الحامية- السامية.

وأشهر أفرادها اللسان الصيني والياباني والتركي والمغولي،و...وليس بين أفراد هذه الأسرة وجوه شبه في المفردات ولا في القواعد، وإنّما جعلت أسرة من قبيل الاصطلاح وتسهيل الدراسة فقط.

إنّ هذا التصنيف الثلاثي لم يلق الرضى التام من علماء اللغة، لأنه ضم في الأسرة الحامية – السامية مجموعتين من الألسن دلت الدراسات الحديثة على أنه لا نسب يربط بينهما أبدا، ولأنه ضم في الأسرة الطورانية ألسنا شديدة التباعد ليس بينها وجه واحد من وجوه الشبه، ولأنّه أهمل كثيرا من ألسن العالم فلم تدخل فيه ألسن كثيرة من الشعوب الإفريقية والأسترالية والأمريكية.

شجرة اللغات الساميّة:

عُرِفَت لغات الشعوب الآرامية والفينيقية والعبرية والعربية واليمنية والبابلية والآشورية باللغات السامية، وقد جاء في سفر التكوين، الإصحاح العاشر من الكتاب المقدّس ما يشبر إلى أنّ انحدار القبائل والشعوب كلّها قد كان من أبناء نوح وهم: سام وحام ويافث.

من الواضح أنّ اللغات السامية قبل تفرقها كانت ترجع إلى أصل مشترك ومهد واحد اختلف في تحديده، وقد رجّح الألماني " بروكلمان" والفرنسي رينان" أنّ الموطن الأوّل للشعب السامي هو القسم الجنوبي الغربي من شبه جزيرة العرب.

خصائص اللغات السامية وصفاتها المشتركة: تشترك اللغات السامية في عدد من الخصائص الدالة على أصلها، ومن أبرز هذه الخصائص نذكر:

1- اعتماد اللغات السامية على الجدر الثلاثي في تأليف كلماتها، فأصول كلماتها تتألف غالبا من ثلاثة أصوات ساكنة من أمثال:(س م ع)، (ض ر ب)، (ك ت ب)،(د خ ل)،...

وقد ارتأى بعض علماء اللغة وبناء على الملاحظة والمقارنة أنّ أصول الكلمات في اللغات السّامية ثنائية لا ثلاثية، فعدا عن الضمائر:(هو، هي، هم)، والحروف : (عن، قد، لم)، هناك أفعال لا يبقى منها في تقلّبها بالنطق إلاّ حرفان ومن أمثالها: (قُم، نَم، قُمتَ، رُمتَ)، وهذا يعني أنّ المعنى العام يتوقف في كثير من الأفعال على صوتين فقط، وغالبا ما يؤدّي المعنى العام للفعل بصوتين فقط، ويليه صوت ثالث ليؤدّي معنى النوع الخاص لهذا الفعل، ومن أمثلة ذلك نذكر: شرد، شرح، شرخ، شرم، ففي اجتماع

صوتي الشين والراء معًا ما يفيد معنى التوزّع والانقسام، ولكن توالي الدال أو الحاء أو الخاء أو الميم يفيد نوعا خاصا من أنواع التوزّع والانقسام.

2- هناك ألفاظ مشتركة في جميع اللغات السامية كالضمائر، وأسماء الإشارة، وألفاظ العدد، وأسماء الذوات الجامدة مثل: سماء، شمس، بيت، ثور، جمل،... علاوة على اعتمادها على الحركات في التفريق بين ما يدلّ على معنى مشترك من الكلمات مثل: ضَرَبَ، ضُرِبَ، ضَرْبٌ،....

3- أهميّة الأصوات الساكنة بالقياس إلى الأصوات الليّنة، ولو أخذنا مثال الحركات بفتح أو ضم أو كسر وجدنا المعنى العام يطرحه الأصل الصامت (ق ت ل) ووجدنا الحركات لا تعني أكثر من التفصيلات، وربما لم يظهر لها أثر في الكتابة، إذ يظلّ رسم الكلمة (ق ت ل) نفسه، ويفصّل في دلالته وجود الحركات أو الأصوات الليّنة لتفرّق بينالفعل من غائب مفرد (قَتَلَ) أو لوقوع الفعل على مجهول (قُتِلَ)، الخ...

4- اقتصار أزمنة الفعل في معظم اللغات السامية على(ماضٍ، ومضارع وأمر).

5- إمكان تحويل الاسم والصفة من المذكر إلى المؤنث بإضافة تاء إلى المذكر.

6- التشابه في العديد من المفردات ودلالاتها.

7- وحدة الأصل للكلمة الواحدة وقلّة الكلمات المنحوتة من أصليْن، على كثرتها في اللغات الهندية الأروبية، مثل: super-vise يراقب، emb-rasserاحتضن بالفرنسية

Trans-fer ينقل، mit-fahrenيرافق بالألمانية

هذه الخصائص المشتركة وغيرها حفّزت علماء اللغةعلى البحث عن وجوه الخلاف بين اللغات السامية متناسين منطق التطور الذي يؤدي في آخر مراحله إلىتباين اللغتين باختلاف كلّي.

وقد ذكروا من وجوه الاختلاف:

- (ال) التعريف هي (ال) في أول الكلمة العربية، و(هاء) في أول الكلمة العبرية، و(آ) في نهاية الكلمة السريانية.
- علامة الجمع: هي الواو والنون أو الياء في اللغة العربية، و(ين) في الآرامية، و(يم) في العبرية.
- خلو العبرية من بعض الأصوات (ض ظ غ ذ)، وخلو العربية من بعض الأصوات (ب p) و

(ف v) بالنسبة للعبرية، هذا وأغلب ما يأتي في العربية بالسين يأتي في العبرية بالشين، والعكس بالعكس.

أما الاختلاف في المفردات فلقد توسّع بين هذه اللغات الساميات حتى في الكلمات التي كانت مدلولاتها شاسعة ومشتركة، وهي لا حصر لها عددا مما جعل لكل لغة فرع قاموسها المستقل، وأضخمها القاموس العربي لاشتماله على المأنوس وغير المأنوس من المفردات.

أما عن **شجرة اللغات السامية** ففيها فرعان كبيران عنهما تتفرّع بقيّة اللغات، وسنكتفي بإيراد التسميات دون الخوض في الخصائص والتفصيلات عن كلّ منها، وما يهمنا أن نصل إليه تفرّع اللغة العربية الباقية التي استقرّت على شكلها الأرقى الذي نزل به القرآن الكريم.

الفرع الأول الكبير من شجرة اللغات السامية هو فرع الساميات الشرقية وتعرف بالأكادية أو المسمارية نسبة إلى مملكة أكاد أو إلى الخط المسماري، وعن هذا الفرع الكبير تفرّعت بالبابلية الآشورية.

الفرع الثاني الكبير من شجرة اللغات السامية هو فرع السّاميات الغربية التي تتفرّع بدورها إلى شمالية وجنوبية.

نجد في المتفرعات الشمالية الكنعانية والآرامية وما تفرّع عنهما، ونجد في المتفرعات الجنوبية العربية الشمالية التي منهاالعربية البائدة والعربية الباقية.

وسنقف عند العربية البائدة وقفة قصيرة قبل الحديث عن العربية الباقية السائدة إلى اليوم.

اللغة العربية البائدة:

ونقصد بها عربية النقوش التي انقرضت لهجاتها قبل ظهور الإسلام، وفيها شبه من الآرامية، وأهم اللهجات العربية البائدة ثلاث لهجات هي: الثمودية، والصفويّة، واللحيانيّة.

الثموديّة: نسبة إلى قبائل ثمود البائدة، وقد عثر على نقوشها ما بين الحجاز، ونجد، وعثر على بعضها قرب دمشق، وخطها مشتق من المسند، ويتجه من أعلى إلى أسفل، وتارخهاما بين القرنين الثالث والرابع الميلادي.

الصّفويّة: وهي اللهجة المنسوبة إلى منطقة الصفا، عثر على نقوشها بين تلال الصفا وجبل الدروز، ويرجع تاريخ تدوينها إلى ما بين القرن الثالث والقرن السادس الميلادي، وخطها قريب من الخط الثمودي، ولكنه يتجه من اليسار إلى اليمين، ومن اليمين إلى اليسار دون أن يستقرّ على حال.

اللّحيانية: وهي اللهجة المنسوبة إلى قبائل لحيان التي كانت تقطن شمالي الحجاز، ورغم أنها أتت بعد الثمودية والصفوية وجد خطها أجمل، وأثبت نظاما من الخطين الثمودي والصفوي، ويرجع تاريخ النقوش اللحيانية إلى القرن الرابع قبل الميلاد تقريبا.

ولقد وُجِدَ ما يدل على التقارب بين العربية البائدة والعربية الباقية متمثلا في نقوش خطّية أهم ما يميّزها الخط النبطي المتصل الحروف الذي تولّد عنه الخط الكوفي فيما بعد في العربية الباقية، وتذكر مصادر فقه اللغة وعلم اللغة والمصادر التاريخية ثلاثة من النقوش المشهورة، وهي: "نقش النِّمارة"، و"نقش زَبَد"، و"نقش حوران"، وتجمعها خصائص مشتركة منها : البعد عن التأثّر بالآرامية، والإشعار بما سيتولّد عنها من لغة عربية مكتوبة، صلحت فيما بعد لتدوين القرآن الكريم بالعربية الباقية.

ومهما يكن من أمر فقد أجمع الكثير من الباحثين على أنّ المهد الأول للشعوب السامية هو شبه الجزيرة العربية.

العربية الباقية: ونقصد بها اللغة العربية في زماننا الحاضر، لغة الأمة العربية على امتدادها الجغرافي في القارتين الافريقية والأسيوية، وهي الضاربة الجذور قبل ظهور الاسلام بقرون إلى القرن الخامس عشر لظهوره، وسوف يمتد بقاؤها حية إلى ما شاء الله، ما دامت تملك في ذاتها عناصر الخياة غير بعيدة عن سنن الحياة في التطور والارتقاء، وسيأتي الحديث عنها مطولا لاحقا.